Comprehensive Journal of Science
Volume (9), Issue (35), (March, 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (9) العدد 35 مارس 2025
ردمد: 3014-6266

هندسة الدلالة للقلة والكثرة في جمع التكسير بين الصيغة والسياق ودورها في صناعة المعنى دراسة تحليلية لنماذج مختارة من صحيح مسلم

مريم علي عبد الله القعود ، جامعة الزاوية ، كلية التربية / أبوعيسى
m.alegoud@zu.edu.ly

The Semantic Structure of Fewness and Plurality in Broken Plurals: Between Form and Context and its Role in Meaning Construction
An Analytical Study of Selected Examples from Sahih Muslim

Maryam Ali Abdullah Al-Qaoud, University of Zawiya, Faculty of Education/Abu Issa

تاريخ الاستلام2025/1/15 -تاريخ المراجعة:2025/01/18- تاريخ القبول: 2025/38- تاريخ للنشر: 2025/3/25

الملخص:

من أبرز سماته استعمال النبي صلى الله عليه وسلم لصيغ جموع التكسير، بما تتسم به من تنوع في الأوزان الصرفية ودقائق في الفروق الدلالية، وهو ما يعكس اختيارًا لغويًا مقصودًا ذا أثر معنوي. ويُعَدّ التناوب بين الأوزان التي ارتبطت في التراث اللغوي بدلالة القلة، وتلك التي ارتبطت بدلالة الكثرة، ظاهرة ذات أهمية خاصة في الخطاب الحديثي.وتتناول هذه الدراسة نماذج مختارة في إطارٍ لغويٍّ تكاملي يجمع بين الصيغة الصرفية، والبنية النحوية، والوظيفة البلاغية، والدلالة المعنوية. ويسترشد التحليل بسياق الكلام، وقصد المتكلم، ودور القرائن في توجيه الفه،.وقد جاءت الدراسة بعنوان:(هندسة التناوب الدلالي للقلة والكثرة في جمع التكسير بين الصيغة والسياق ودورها في صناعة المعنى دراسة تحليلية لنماذج مختارة من صحيح مسلم)

وتخلص إلى أن التنوع الصرفي لا يُعد مجرد اختلاف شكلي، بل يمثل آلية استراتيجية في بناء المعنى داخل الخطاب النبوي.

Abstract

Prophetic ḥadīth constitutes a significant linguistic source and an important field for linguistic inquiry. Among its notable features is the Prophet's use of broken plural forms (jamʿ al-taksīr), whose diverse morphological patterns and semantic nuances reflect a deliberate and meaningful linguistic choice. The alternation between patterns traditionally associated with paucity and those associated with abundance represents a particularly significant phenomenon within ḥadīth discourse.

This study examines selected examples within an integrated linguistic framework that brings together morphology, syntax, rhetoric, and semantics. The analysis is guided by contextual meaning, speaker intention, and the role of interpretive indicators (qarāʾin) in directing understanding.

Entitled *"The Architecture of Semantic Alternation between Paucity and Abundance in Broken Plurals: Form, Context, and Their Role in Meaning Construction — An Analytical Study of Selected Models from* Sahih Muslim*,"* the study argues that morphological variation is not merely formal, but functions as a strategic mechanism in the construction of meaning within Prophetic discourse.

المقدمة:

الحديث النبوي مصدر لغوي عظيم ، ورافد خصب للدراسات اللغوية ، ويعد استعمال النبي صلى الله عليه وسلم لصيغ جموع التكسير على تعدد أوزانها واختلاف دلالاتها ظاهرة بارزة في الحديث النبوي ؛ لذا رأيت اختيار بعض النماذج للدراسة في طابع لغوي يمزج الصيغة الصرفية بالنحو والبلاغة والدلالة في تحليل شامل حسبما يقتضيه المعنى تأسيساً على إرادة المتكلم وتوجيه القرينة، وكانت هذه الدراسة تحت عنوان (هندسة التناوب الدلالي للقلة والكثرة في جمع التكسير بين الصيغة والسياق ودورها في صناعة المعنى دراسة تحليلية لنماذج مختارة من صحيح مسلم)

أسباب الاختيار : تكمن في الرغبة في دراسة صرفية تطبيقية على نصوص تعد من أفصح النصوص اللغوية بعد القرآن الكريم ، وحيث إن أبنية جموع التكسير حظيت بدراسات عدة أردت أن أتناول في هذا البحث بعض القضايا اللغوية في جمع التكسير لتوضيح العلاقة القائمة بين المستويين الصرفي والدلالي والكشف عن الآلية التي تؤدي بها الصيغ الصرفية دورها الدلالي في صحيح مسلم .

أهمية البحث : تستمد الدراسة أهميتها من تناول التناوب الدلالي للقلة والكثرة في جمع التكسير و صناعة المعنى وتحليل النصوص المختارة تحليلاً صرفياً نحوياً دلالياً ؛ ولا شك أن مثل هذا التحليل سيخدم دلالة النص الحديثي ويساعد في فهم المقصود منه .

الدراسات السابقة :

لم أعثر على دراسة عنيت بقضايا التناوب الدلالي لصيغ القلة والكثرة في جمع التكسير في صحيح مسلم فأردت ان أقدم دراسة لعلها تكون نافذة يطلع من خلالها الباحثون على وفرة المخزون اللغوي في الحديث النبوي وما يحتاجه من بحث ودراسة وتنقيب يقدم شروحا تظهر المعاني المبتغاة من توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي تقديم طرحاً يسهم في توجيه المجتمع من خلال الثراء اللغوي ودلالاته .

تساؤلات البحث :

ـ هل وظَّف النبي صلى الله عليه وسلم جمع التكسير في بيان القضايا العقدية والأخلاقية والتشريعية .
ـ كيف كان استعماله لصيغ جمع التكسير من حيث توجيه دلالة القلة أو الكثرة ؟
ـ هل استعملت صيغ الجمع اعتباطاً أم كان استعمالها ناتجاً عن دقة كبيرة في اختيار صيغة دون أخرى؟
ـ ما الغاية من استعمال أكثر من صيغة لجمع المفردة الواحدة وما أضفى إليه التنوع من دلالات جديدة؟
ـ ما أهمية السياق في توجيه دلالة صيغة الجمع ؟

خطة البحث :رأيت أن أتناول البحث في مطالب وفق المادة الصيغة المرادة تذكر لاحقاً في محلها

منهج البحث : المنهج الوصفي التحليلي

خطة البحث :رأيت أن أتناول البحث في مطالب وفق الصيغة المرادة تذكر لاحقاً في محلها من البحث.

منهج البحث : المنهج الوصفي التحليلي

الكلمات المفتاحية : جمع ، التكسير ، القلة ، الكثرة ، الدلالة .

تمهيد :

الحديث النبوي مصدر لغوي عظيم ، ورافد خصب للدراسات اللغوية ، ويعد استعمال النبي صلى الله عليه وسلم لصيغ جموع التكسير على تعدد أوزانها واختلاف دلالاتها ظاهرة بارزة في الحديث النبوي ؛ لذا رأيت اختيار بعض النماذج للدراسة في طابع لغوي يمزج الصيغة الصرفية بالنحو والبلاغة والدلالة في تحليل شامل حسبما يقتضيه المعنى تأسيساً على إرادة المتكلم وتوجيه القرينة ، وكانت هذه الدراسة تحت عنوان (هندسة التناوب الدلالي للقلة والكثرة في جمع التكسير بين الصيغة والسياق ودورها في صناعة المعنى دراسة تحليلية لنماذج مختارة من صحيح مسلم) ، إن معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت بها لا تكفي غالباً لتحديد معناها تحديداً تاماً دقيقاً ، فإن كل كلمة بعد أن أخذت من مادتها الأصلية ، وبنيت على أحد الأوزان الصرفية استعملت في مواطن من الكلام وخصصها الاستعمال بمعاني أخص من المعنى العام الذي تدل عليه مادتها، وبتعدد الاستعمال خلال العصور وفي مختلف المناسبات وشتى البيئات يتم للكلمة أكثر من معنى ، ويجتمع لها اكثر من دلالة ، وهذه الاستعمالات أو الدلالات المتعددة تتصل كلها بالمعنى الأصلي اتصالاً قوياً أو ضعيفاً ، قريباً أو بعيداً ، وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها ، وكأنها مختزنة فيها ، كامنة في تضاعيف حروفها ، ويبرز أحدها حين استعمال الكلمة في جملة معينة ، وسياق محدد من الكلام ؛ ولهذا كان للسياق قيمة في تحديد المعاني وفهم الكلام "[1]

ـ تعريف الجمع لغة واصطلاحاً :

الجمع لغة : يعني إضافة الشيء إلى الشيء[2] ، فالجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء. يقال جمعت الشيء جمعاً[3] ، **أما اصطلاحاً؛** فعرّفه ابن يعيش بقوله : هو ضمك الشيء إلى أكثر منه ، لتعبِّر عن الجميع بلفظ واحد طلباً للاختصار[4] والجمع ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مذكَّر سالم، ومؤنثٍ سالم، وجمع تكسير،فجمع المذكر السالم، هو لفظ دل على أكثر مِن اثنين، بزيادة واو ونون، أو ياء ونون، كالزيدون والصالحون، والزيدين والصالحين.وجمع المؤنث

---

[1] المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية: 182

2- ابن منظور ، لسان العرب ، ، مادة : جمع

3- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة : جمع

4 ـ ابن يعيش ، التهذيب الوسط في النحو: 9

السالم: ما دل على أكثر مِن اثنين، بزيادة ألف وتاء على مفرده، كفاطمات وزينبات[1]، وجمع التكسير هو كل جمع تغيَّر فيه نظم الواحد، وبناؤه وإعرابه جارٍ على آخره كما يجري على الواحد تقول: هذه دور وقصور ورأيت **دوراً** وقصوراً ومررت بدورٍ وقصورٍ[2]، والتغيَّر في بناء الواحد، يكون بأحد الأوجه الآتية :الوجه الأول : بزيادة؛ ليست عوضًا من شيء من غير تبديل شكل كـ: صنو، للمفرد ،وصنوان: " لجمعه، الوجه الثاني :بنقص؛ من غير تبديل شكل " كـثُخَمة للمفرد، وتخم لجمعه، الوجه الثالث : بتبديل شكل من غير زيادة ولا نقص، كـ: أَسَد. بفتح الهمزة والسين للمفرد، وأُسْد، بضم الهمزة وسكون السين: لجمعه، الوجه الرابع : بزيادة وتبديل شكل، كـ: رِجال ورجل. الوجه الخامس :بنقص وتبديل شكل، كـ: رسل" ورسول، الوجه السادس : بهن؛ أي: بالنقص والزيادة وتبديل الشكل كـ: غلمان وغلام. فإن: غلمانًا زيد في آخره ألف ونون ونقص منه الألف الواقعة قبل الميم وبعد اللام في: غلام. وتبديل شكله بكسر فائه وإسكان عينه[3].وجمع التكسير يُسمى مُكَسَّراً؛ لأن بناء الواحد فيه قد غُير عما كان عليه فكأنه قد كسر؛ لأن كسر كل شيءٍ تغييره عما كان عليه[4] ، وهذا الضرب من الجمع سُمي جمعاً مكسراً على التشبيه بتكسير الآنية ونحوها ، لأن تكسيرها إنما هو التئام الأجزاء التي كان لها قبلُ ، فلما أزيل النظم ، وفك النضد في هذا الجمع أيضاً عما كان عليه واحِدُهُ سموه تكسيراً [5]"

جمع التكسيرمن أوسع الأبواب الصرفية خروجاً عن مقتضى ظاهر القواعد الصرفية ، لكثرة استعماله في اللسان العربي ، ولهذا الجمع أوزان كثيرة بعضها يستعمل للعدد القليل الذي لا يتجاوز العشرة ، وبعضها يستعمل للعدد الكثير الذي يزيد عليها ، ولا تحصر نهايته ، أي أنها تنقسم باعتبار القلة والكثرة إلى قسمين : جمع القلة ، وجمع الكثرة ، ويعترض على هذا التقسيم بأن هناك أسماء ليس لها إلا نوع واحد من الجمع ، قد يكون جمع قلة وقد يكون جمع كثرة ، ثم إن العرب الفصحاء لم يراعوا هذا في كلامهم فكثيراً ما يجتمع عندهم جمع القلة وجمع الكثرة في موضع واحدٍ ، ويكون للمفرد غير جمع ، وكثيراً ما نرى جمع القلة يوضع في موضع الكثرة ، وجمع الكثرة يوضع للقلة[6] وقد تعطي القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة لغرض ما ، وقد يُخص كلٌّ من الوزنين بمعنى ومن ذلك قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[7] وفي قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[8]، فالعدد واحد هو(سبع) لكنه استعمل معه جمع الكثرة مرة والقلة مرة أخرى ، والسبب في ذلك أن الآية الأولى سِيقت في مقام التكثير والمضاعفة فجيء بها على (سنابل) لبيان التكثير ، وأما قوله (سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ) فجاء بها على لفظ القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير[9] ، يقول ابن يعيش : " إن الجموع قد يقع بعضها موضع بعض ويُستغنى ببعضها عن بعض ؛ ... وأقيس ذلك أن يستغنى بجمع الكثرة عن القلة لأن القليل داخل في الكثير " [10]،وأجاز اللغويون أن يرد جمع الكثرة مكان جمع القلة كما في قوله تعالى:﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[11] ، فقروء صيغة جمع الكثرة، استعمل في الثلاثة، وهي قلة توسعاً، على عاداتهم في الجموع أنها تتناوب، فأوثر في الآية الأخف مع أمن اللبس بوجود صريح العدد[12].و" جمع التكسير كثير الاختلاف ، وهو غير منضبطٍ ، بخلاف التصحيح لأنه مضبوط"[13]

ـــ نوعا جمع التكسير : جمع التكسير نوعان ؛ جمع قلة ، وجمع كثرة :

جمع القلة ما بين الثلاثة إلى العشرة وجمع الكثرة ما فوق ذلك[14] ، وأبنية جمع القلة أربعة : أفْعُل ، أفْعَال،أفْعِلَة ، فِعْلة[15]

---

1 ـ الحملاوي ، شذا العرف : 82
2 ـ ابن جني ، اللمع في العربية ،: 22)،
3 ـ الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح: 2/ 519
4 ابن السراج ، الأصول في النحو / 429)
5 الفارسي ، التكملة ،: 408
6 الضامن ، الصرف :232
7 سورة البقرة الآية: 261
8 سورة يوسف : الآية 43)
9 ينظر السامرائي ، معاني الأبنية ، ا : 121، الزركشي ،البرهان في علوم القرآن: 22/4
10 شرح المفصل : 11/5
11 سورة البقرة : من الآية (228
12 ابن عاشور، التحرير والتنوير «: 2/ 391
13 الكعبري التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: 223
14 ابن جني ، اللمع في العربية،: 171
15 الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف: 86 ـــ 87

أفْعَال :إن كان الاسم الثلاثي على غير مثال فعل كسرته في القلة على أفعال وذلك نحو قلم وأقلام، وجبل وأجبال، وكبد وأكباد، وعجز وأعجاز، وضرس وأضراس، وضلع وأضلاع، وإبل وآبال ،وبرد وأبراد، وطنب وأطناب، وربع وأرباع ، وكذلك إن كانت عين فعل معتلة واواً أو ياء ؛ وذلك نحو سوط وأسواط، وبيت وأبيات[1] ، ومعنى اختصاص هذه الصيغ بالقلة أن المدلول الحقيقي ــ لا المجازي ــ لكل واحدة منها هو عدد مبهم ؛ أي لا تحديد ولا تعيين له ، ولكنه لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد عن عشرة بشرط ألا توجد قرينة تدل على ان المراد الكثرة لا القلة ، فعند عدم القرينة تتعين القرينة حتماً اعتماداً على أن الصيغة موضوعة في أصلها للقلة ومختصة بها ، فلا يجوز إبعادها إلى الكثرة بغير قرينة[2]

فجمع القلة والكثرة مبدؤهما ثلاثة ومنتهى جمع القلة العشرة ، ولا منتهى لجمع الكثرة فهما مشتركان في المبدأ مختلفان في المنتهى[3]. فالفرق بينهما من جهة النهاية لا من جهة المبدأ يقول سيبويه : " اعلم أن لأدنى العدد أبنيةٌ هي مختصَّة به، وهي له في الأصل، وربَّما شركه فيه الأكثر، كما أنَّ الأدنى ربَّما شرك الأكثر، فأبنية أدنى العدد أفعلٌ نحو: أكلبٍ وأكعبٍ. وأفعالٌ نحو: أجمالٍ وأعدالٍ وأحمالٍ، وأفعلةٍ نحو: أجربةٍ وأنصبةٍ وأغربةٍ. وفعلةٌ نحو: غلمةٍ وصبيةٍ وفتيةٍ وإخوةٍ وولدةٍ، فتلك أربعة أبنية، فما خلا هذا فهو في الأصل للأكثر وأن شركه الأقل. "[4]، والصيغة وحدها لا تتحكم بدلالة الكلمة على المفرد أو الجمع ، كما أن الألفاظ لا تتفاضل ولا ينماز بعضها عن بعض من حيث هي كلم مفردة ، وألفاظ مجردة ، وإنما تتضح جلياً معانيها المتعددة ودلالاتها المختلفة من حيث استعمالها في سياق الكلام وارتباط بعضها ببعض ، وملاءمة معنى اللفظة للمعاني التي تجاورها[5]، ولقد استعمل العرب بعض جموع التكسير للمغايرة بين معنيين وضعاً أو تخصيصاً لا للدلالة على القلة أو الكثرة[6]،يقول ابن يعيش: " الجموع قد يقع بعضها موقع بعض ، ويستغنى ببعضها عن بعض ألا ترى أنهم قالوا رسن وأرسان ، وقلم وأقلام ، واستغنوا بهذا الجمع عن جمع الكثرة ، وقالوا رجل ورجال ، وسبع وسباع ولم يأتوا لهما ببناء قلة ، وأقيس ذلك ان يستغنى بجمع الكثرة عن القلة : لأن القليل داخل في الكثير"[7] والقرينة وحدها في السياق هي التي تعين دلالة أحد النوعين ــ القلة ، أو الكثرة ــ بالرغم من أن الصياغة خاصة بأحدهما فقط ...

ــ تتعدد الجموع وتتناوب دلالاتها :

إن الشواهد الحديثية تؤكد أن السياق الذي ترد فيه لفظة الجمع هو الذي يحدد دلالتها على القلة أو الكثرة متى وجدت القرينة الموجهة إلى ذلك

ــ تعدد الجمع للاسم الواحد:

تتنوع جموع التكسير فقد يكون للاسم الواحد جموع عدة نحو كافر وكُفَّار وكفّرة ، وكافرين ... فهل تختلف معاني هذه الجموع باختلاف الأوزان؟[8]، القرآن الكريم استعمل ؛ الكُفَّار والكفّرة والكافرين، والنحاة لم يفسروا هذا الأمر تفسيراً كاملاً ، وإنما ذهبوا إلى أن أهم أسباب الاختلاف تعود إلى اختلاف اللغات ، وإلى دلالة الجمع على القلة أو الكثرة ، أو تعود إلى اختلاف المعاني بأن تكون اللفظة مشتركة بين معنيين فتجمع كل معنى على وزن ، فالْكَفَّار: فِي جمع الْكَافِر المضاد للْإِيمَان أَكثر اسْتِعْمَالا والكفرة فِي جمع كَافِر النِّعْمَة أَكثر اسْتِعْمَالًا[9]

ــ دلالة (فُعُول) على الكثرة :

يطَّرد بناء فعول في الاسم على وزن (فَعْل) إذا كان ثلاثياً ساكن العين مثلث الفاء، ويشترط أن تكون عين المفتوح أو المضموم واواً، ولا لام المضموم ياءً[10]

وردت كلمة بيت بمعنى السكن في صحيح مسلم ، وورد جمعها على (أبيات وبيوت)، وقد جاء الاستعمال بالصيغتين في صحيح مسلم للدلالة على مكان السكن (أفعال ـ أبيات) ، (فعول ـ بيوت)

هندسة الدلالة في وزن أفعال :

ورد في صحيح مسلم الجمع (أبيات) للدلالة على جمع القلة والكثرة وفق السياق الوارد فيه .

---

[1] ابن جني ، اللمع في العربية: 172

[2] عبد العال ،جموع التصحيح والتكسير: 26

[3] ينظر حاشية الصبان : 3/ 28

[4] سيبويه ،الكتاب ،: 3/ 490

[5] الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،: 38

[6] ينظرسيبويه ، الكتاب : 2/ 206

[7] ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري: 5/ 11

[8] السامرائي ، معاني الأبنية في العربية: 113

[9] ينظر ، السامرائي ، معاني الأبنية 117، الكفوي ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : 763)

[10] ينظر الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف :138

دلالة أفعال على القلة : من هذا ماورد عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ مَالِكَ بْنَ أَوْسٍ، حَدَّثَهُ، قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَجِئْتُهُ حِينَ تَعَالَى النَّهَارُ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ فِي بَيْتِهِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرٍ مُفْضِيًا إِلَى رُمَالِهِ، مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ لِي: يَا مَالُ، إِنَّهُ قَدْ دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ قَوْمِكَ، وَقَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرَضْخٍ، فَخُذْهُ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ، ... » [1] ، في هذا النص جمع التكسير (أبيات) مفرده (بيت) يقول سيبويه: وأما ما كان من بنات الياء وكان فَعلاً فإنَّك إذا بنيته بناء أدنى العدد بنيه على أفعالٍ، وذلك قولك: بيتٌ وأبياتٌ[2]، وأصل البيت: مأوى الإنسان بالليل، لأنه يقال: بَاتَ: أقام بالليل، كما يقال: ظلّ بالنهار ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه، وجمعه أَبْيَات وبُيُوت، لكن البيوت بالمسكن أخصّ، والأبيات بالشعر. قال عزّ وجلّ: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا ﴾[3]، وقال تعالى:﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[4] ﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾[5]، ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر وصوف ووبر، وبه شبّه بيت الشعر، وعبّر عن مكان الشيء بأنه بيته[6] ،والأبيات عند الصرفيين جمع قلة على (أفعال)، والبيوت جمع كثرة على (فعول)، غير أن العرب لم يستعملوا الأبيات للدلالة على القلة، كما لم يستعملوا البيوت للدلالة على الكثرة ، بل إن البيت من القصيدة (بيت الشعر) يجمعه العرب في الغالب على (أبيات) ويجمعون (البيت) بمعنى السكن والمنزل على (بيوت)[7]

وبالنظر إلى دلالة (أبيات)، نجدها في سياق (إِنَّهُ قَدْ دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ قَوْمِكَ،)(دف) الدال والفاء أصلان: أحدهما يدل على سرعة، ومعنى الفعل: أقبل بسرعة، أو ازدحم، أو جاء جماعة بعد جماعة[8]، فالفعل (دف) يدلّ على حركة شديدة مفاجئة،و يحمل قوة الحركة والقدوم السريع واجتماع جماعة على جماعة جَاءُوا مُتَتَابِعِين شَيْئًا بعد شَيْءٍ[9] وهذه الدلالة المعجمية للفعل دف تعطي للجملة حيوية وحركة، تقول : دفَّتْ علينا من بني فلان دافَّة؛ أي جماعة سيرُهم ليّن[10].ولفظة أبيات في (دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ قَوْمِكَ)، جمع على وزن أفعال جمع قلة ، وفي هذا الاستعمال إشارة إلى أن المقصود عدد قليل من الناس ،لا قبيلة كبيرة أو جموع كثيرة. وجمع القلة يعكس واقعهم المكاني والاجتماعي ؛ قلة العدد، وتفرّق المساكن، وبساطة العيش وناسب لفظ أبيات المقام لأن الحديث عن فئة قليلة جاءت تطلب العطاء، وعن التناسب بين صغر العدد وقلّة العطاء (الرَّضخ)(وَقَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرَضْخٍ) والرضخ ؛ العطاء القليل[11]

وهو أن يُعطَى الإنسان من المال شيئاً قليلاً[12] ، لكنه عظيمٌ في معناه؛ لأنه تقديرٌ وتكريم ، وكان اختيار كلمة (الرضخ) دون غيرها مما يجري في فلكها كـ(سهم) أو (عطاء) اختياراً موفقاً ؛وذلك لأن كلمة السهم تدل على حقٍّ ثابتٍ مقدّر في الغنائم أو الأموال ، وهذا غير مراد في السياق ، وأيضاً العطاء كلمة عامة قد تدل على كثير أو قليل، وعلى واجب أو غير واجب، ولا تعكس بدقة أن المقدار يسير، ولذا كان اختيار كلمة (الرضخ)لأنها قادرة على حمل الإيفاء بالمعنى الدقيق المراد في السياق بما تكتنفه من إيجاز في اللفظ وعمق في الدلالة ورفق وتلطف بأهل تلك الأبيات .وأيضاً تظهر لنا دقة اختيار التعبير بـحرف الجر(في) دون حرف الجر(إلى) إذ قال (فيهم) ولم يقل(إليهم)،وذلك لأن (الرَّضْخ) ليس موجّهًا لأشخاص معيّنين، بل لِفِئَةٍ أو طائفة فحرف الجر(في) يدل على الظرفية والاشتمال[13]

؛أي أن الرضخ يُصرف داخل هذه الفئة أو ضمنها، ولأن الرضخ ليس موجّهًا لأفراد بأسمائهم، بل لمجموعة، جاء التعبير بـ (فيهم)أما القول بـ(إليهم) فيحمل معنى التوجيه المباشر لشخصٍ أو أشخاصٍ معيّنين.

ــ وزن أفعال : وأيضاً ورد أبيات جمعاً لبيت للدلالة على القلة :

فيما روته أمنا عَائِشَةُ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: «الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى

---

[1] صحيح مسلم ،: 3/ 1377

[2] سيبويه، الكتاب : 588/3

[3] سورة النمل:من الآية(52)

[4] سورة يونس: من الآية(78)

[5] سورة النور: من الآية (27)

[6] الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن الأصفهاني: 151

[7] ينظر المخصص : 111/2

[8] ينظرابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ،: 2/ 257

[9] الأزدي ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: 43

[10] الحميري، ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم4/ 2005

[11] ابن منظور ، لسان العرب: مادة (رضخ)

[12] الأزهري ، مادة : رضخ

[13] ينظر: الزمخشري ، المفصل في صنعة الإعراب : 381

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ» [1] ، ففي قولها (وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ) كلمة (أبيات) جمع على وزن (أفعال) مفردها (بيت)، على وزن (فَعْل) وكلمة أبيات تدل هنا على مكان سكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أي حجرات أزواجه رضي الله عنهن ، بدأ التركيب بالنفي (مَا أُوقِدَ) ؛ الفعل أوقد من مادة(وقد) والواو والقاف والدال: كلمة تدل على اشتعال نار[2] ومعنى الإيقاد استعمال النار للدلالة على الطبخ والعيش[3].وجاء هذا الفعل منفياً ليدل على عدم حصول الإيقاد في فترة زمنية عُينت وحُددت بثلاثة أشهر ،فأين كان هذا النفي ؟ هذا النفي للإيقاد مكانه أبيات النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذا حسن استعمال (في) الظرفية المكانية (أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كلمة أبيات بدلالاتها على القلة فيها إشارة إلى أن بيوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت متعددة وصغيرة وبسيطة، ونفي الإيقاد واقع على (نار) ومادتها (نور) النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات. منه النور والنار، سُمّيا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطرباً سريع الحركة[4] ، ووردت (نار) نكرة هنا لتترك المجال واسعاً في استدعاء صفتها فقد تكون للتقليل؛ أي حتى نارٌ واحدة صغيرة لم توقد ، وقد تكون للتعظيم في النفي (أي أيُّ نارٍ كانت).وعدم إيقاد النار في البيت كناية عن عدم طبخ الطعام وقلة الموارد وشدة الفقر والزهد، بل نفيٌ للحد الأدنى من مظاهر السعة، وتقديم شبه الجملة (في أبيات رسول الله) في الصدر يضفي جلالاً على الجملة، ويشير إلى الاهتمام بالمكان قبل الحدث ، وكأنها أرادت أن تقرر أن هذا النفي مختصّ بأَبْيَاتِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ولأن الحدث هو المهم جاء الفعل (وُقِدَ) مبنياً للمجهول لأن الفاعل غير مهم ومعرفته أيضاً غيرمهمة؛ المهم عدم الإيقاد؛ فالاهتمام بالفعل نفسه لا بالفاعل؛ فالغاية بيان عدم وجود النار، لا ذكر من يوقدها.

وفي هذا التركيب المنفي (وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ) نلحظ إيجازًا بليغًا، وتصويراً حياً للواقع ، وإيحاءً بفقر نبويّ اختياري وبصبر أهله.، وأن أمنًا عائشة رضي الله عنها أرادت أن تُبيّن زهد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان يعيش عيش الفقراء ، فهي لا تقدم خبراً مجرداً، بل تحرّك قيمة معنوية في نفس المخاطب وفي هذه القيمة حث على الصبر وتربية النفوس على القناعة

ـ ومن دلالة الجمع (أبيات) على جمع الكثرة ماورد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَاقِدٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمْرَةَ، فَقَالَتْ: صَدَقَ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ، تَقُولُ: دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادَّخِرُوا ثَلَاثًا، ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ»، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنْ ضَحَايَاهُمْ، وَيَجْمُلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: «إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا»[5]

في هذا النص جمع التكسير(أبيات) يتجه إلى الدلالة على الكثرة وإن كان وزنه من جموع القلة فهو يفيد الازدحام والاقتراب الجماعي ، ويمكن الاتكاء على بعض القرائن المساعدة على توجيه الدلالة منها التنكير في (أبيات) لا يفيد القلة بذاته، لكنه يشير بعدم التعيين ، ويترك العدد مفتوحاً على التقدير، يتلاءم أكثر مع جماعة ذات امتداد اجتماعي، لا مع بيوت معدودة على وجه الحصر ،والفعل (دف) يدل على المجيء الجماعي ، ويستعمل غالبًا في الكثرة والتتابع والازدحام ، ففي قولهم : دف القوم إذا جاءوا جماعات متقاربة، لا أفرادًا متفرقين، وهذا الفعل قرينة قوية تُرجّح دلالة الكثرة ، والإضافة إلى (من أهل البادية) تدل أن هؤلاء طائفة غير معزولة ،بل شريحة اجتماعية معروفة بكثرة العدد والتنقّل ، ولو كان المراد بيوتًا قليلة مخصوصة لاقتضى السياق تخصيصًا أو تعريفًا أدق، فأهل البادية يسكنون مضارب متعددة ، والبيت البدوي وحدة سكنية صغيرة، فالجمع (أبيات) يحيل ذهنيًا إلى مجموعات قبلية لا إلى عدد يسير ، والمناسبة مناسبة الأضحى زمن اجتماع و موطن وفود ومحل قصدٍ للمدينة ، فالسياق يعزّز دلالة الاجتماع والكثرة. والتعبير بـ«أهل أبيات» بدل «قوم» أو «ناس ، فيه تصوير حيّ لحياة البادية ، وا ستحضار لمشهد القدوم من مضارب متعددة، ويكمن القول إن دلالة الجمع (أبيات) من خلال المؤيدات السياقية تنصرف إلى الكثرة ، ولو أريد بها القلة لوجدنا ما يشير إليها من خلال السياق .

وزن(فعول) للدلالة على الكثرة ، جمع (بيت) على (أبيات):

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ فِتْيَانِي أَنْ يَسْتَعِدُّوا لِي بِحُزَمٍ مِنْ حَطَبٍ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ تُحَرَّقُ بُيُوتٌ عَلَى مَنْ فِيهَا»[6]، وردت كلمة بيوت في سياق حديثي يحمل شحنات متتابعة من التهديد

---

[1] صحيح مسلم : 4/ 2283

[2] ابن فارس ، مقاييس اللغة، مادة: وقد

[3] ينظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : وقد

[4] ابن فارس، مقاييس اللغة مادة : نور

[5] صحيح مسلم : 3/ 1561

[6] صحيح مسلم : 1/ 452

والوعيد استهله النبي صلى الله عليه وسلم بمؤكدين للحدث (لَقَدْ هَمَمْتُ) وهَمَّ بالشيء يهم همًّا إذا عزم عليه أو حدَّث به نفسه.[1]، والهم آخر العزيمة عند مواقعة الفعل ، وهو علق الخاطر بشئ له قدرة في الشدة[2] ثم حرف عطف ومعنى(ثم) المهلة للترتيب والتراخي؛ تقول قام زيد ثم عمرو أي بينهما مهلة [3]،واستعمال (ثم) يدل على انتقال الحدث من مرحلة إلى أخرى بعد مهلة زمنية ، واستهلال الجُمل الفعلية (آمر) ،(تُحرق) بحرف العطف(ثم) يُشعِر بتسلسل الأحداث وزيادة الإحساس بالتدرّج نحو الشدّة، وعطف بجملة فعلية استهلها بفعل مضارع مبني للمجهول(تُحَرَّقُ) للدلالة على أن التركيز على الحدث وهو(التحريق) لا على من يقوم به، فأبهم عن الفاعل ، ووجه التركيز إلى النتيجة (التحريق) لا على مُسبّبه، فالسياق يفيد الزجر والتهديد، واختيار مكان هذا التحريق للبيوت ، وهي جمع مفردها (بيت) وفي اختيار بيوت دون نظيراتها كـ(مساكن) أو (دُور) إشارة إلى ما تحمله من معانٍ، فالبيت رمز الشرف والمأوى، والتعدي عليه يُعد من أقصى درجات العدوان؛ لذا تحمل العبارة نبرة مبالغة شديدة أو تصويراً لجرم فاحش؛ فالتحريق مقصود للبيوت على من فيها وليس مجرد إحراق لبيوت فارغة.وتم اختيار حرف الجر(على) ببراعة فائقة لدلالته على الاستعلاء ، وكأن النار الموقدة تنزل عليهم حمماً من السماء فتشملهم في بيوتهم وحَسُن استعمال(على) لدلالاتها على الاستعلاء والظرفية[4] ، حتى كأننا نرى النار تشمل كل من بداخلها، وفي قوله (عَلَى مَنْ فِيهَا)، إيجاز شديد مشحون بالتهديد والوعيد ، والهاء في (فِيهَا) تعود على البيوت، واختيار النبي صلى الله عليه وسلم لجمع الكثرة يوحي بأن المقصود عموم الحدث وانتشاره على عدد كبير من البيوت، أو على البيوت دون حصر،لا على حال بيتٍ أو بيتين أو ثلاثة، ولا يخفى الإحساس هنا بدلالة الاتساع والشمول ، فجمع الكثرة (بيوت) يدل على جماعات بشرية مستهدفة أو متأثرة. إن الناظر في استهلال الحديث وخاتمته يدرك براعة النبي صلى الله عليه وسلم في توظيف جمع الكثرة ضمن سياقه وما أفاء به من إيحاءات لا تخطئها العين المدققة؛ فكل ما في المسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم حكى لنا ما أراد أن يهم به، ولم يحصل له تحقق في واقع الحال ، وهذا يعني أن المقصود ليس التشريع الفعلي بالتحريق، وإنما تهويل أمرٍ ما، قد بلغ حدًا يستوجب تدخّلًا قاسياً ، فيفهم المتلقي أن هذا وصفٌ للغاية في العقوبة أو العدوان.

ــ من مواضع ورود بيوت جمع للدلالة على الكثرة ما ورد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»[5] ففي (ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ،) كلمة (بيوت) الواردة في الحديث للدلالة على جمع الكثرة في التركيب اللغوي المصدَّر بالعطف بـ(ثم) وهو حرف عطف للترتيب مع التراخي، أي وقوع الحدث الثاني بعد الأول مع مهلة زمنية بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف. وتقدير المدة الزمنية الطويلة متروك للعُرف الشائع ؛ فهو وحده الذي يحكم عليها بالطول أو القِصر، ولا يمكن وضع ضابط آخر يحددها[6] ،أو انتقال في المقام إذ ليس بالضرورة المشي إلى بيت الله عقب الوضوء مباشرة فمن فعل هذا فله هذا، ومن تأخر ذهابه عن وضوئه فله هذا أيضاً ؛ فـ(ثم) تعطي إحساساً بالتدرّج الهادئ والانتقال من مشهد لآخر.(ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ)(مشي) الميم والشين والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدل على حركة الإنسان وغيره[7] ، وكان اختيارالفعل (مشى) بما فيه من دلالة على الحركة المتدرّجة الهادئة على خلاف الأفعال (أسرع) أو (انطلق) أو(ذهب) أو(توجّه)؛ ذلك أن السياق للحديث عن الصلاة وما تستوجبه من طمأنينة وخشوع يوافق حالة المشي إلى المسجد ، والمشي فعل محسوس يخلق صورة حركية للمسلم الذي يتحرّك نحو العبادة بإرادة ووقار، وحسُن مجيء (إلى) للدلالة على الغاية المكانية (بيت) والأصل أن البيت مكان للسكن والمأوى ومجمع الشمل[8]، لكن السياق هنا حول دلالتها من مكان السكن إلى مكان العبادة والرباط الروحي، فانتقل المعنى استجابة إلى مقتضيات المقام ، وكلمة (بيت) بما فيها من تنكير تصلح للدلالة على القلة أو الكثرة وفق ما يوجهه السياق ، ومجيء (بُيُوتِ اللهِ) مسبوقة بـ(من) التبعيضية يعطي إيحاءً بأن بيوت الله كثيرة ولذا حسن المجيء بجمع الكثرة ،والذهاب إلى أي منها فيه البركة، كما يوحي بأن للمتكلم حرية اختيار أيّ بيت منها، والإضافة في (بُيُوتِ اللهِ) إضافة تشريف إنها إضافة المخلوق إلى الخالق؛ تضفي على السياق رهبةً وجمالاً،

---

[1] ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة : همم
[2] العسكري ، معجم الفروق اللغوية: 559
[3] ابن جني ، اللمع في العربية: 92
[4] ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 3/ 37 – 38)
[5] صحيح مسلم : 1/ 462
[6] حسن ، النحو الوافي:3/ 576 – 577
[7] ابن فارس،مقاييس اللغة مادة : مشي 6/ 325)
[8] السابق، مادة بيت

تناوب الدلالة في (فعلة ، وإفعال) (إخوة) و(إخوان):

التناوب الدلالي في صيغة (فعلة) :

ورد عن أَبي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ» قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ»[1]، ابتداءً نلتقي ببراعة النبي صلى الله عليه وسلم في نسج السياق وسوق التراكيب إذ يستهل الإخبار بجمل اسمية يربطها برباط العطف لتشترك جميعها في الدلالة العامة وهذه الجمل الإخبارية هي (الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ)، (وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى)، (وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)، (فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ)، وهذه الجمل الاسمية تكشف دلالات من المعنى (أخوّة من ناحية ،اختلاف من ناحية، وحدة الدين) وهذا نسجٌ لتركيب أراد النبي صلى الله عليه وسلم من خلاله ترسيخ فكرة التآخي في الأصل، والتعايش في الاختلاف التشريعي الفرعيّ، والكلمة المحورية هنا كلمة (إخوة) من صور الجمع لأخ، على وزن فِعْلَة، وهو من جموع القِلّة، فهل أراد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدلالة الصرفية ؟ أم أراد استدعاء غيرها من الدلالات فاستهل بهذا الجمع ؟ (إخوة) مفرده أخ، والأخ الواحد، والاثنان أخوان، والجمع إخوان وإخوة ، قَالُوا: وهم (الإِخْوَةُ) إذا كانوا لأب ، وهمُ (الإِخْوَانُ)، إذا لم يَكُونُوا لأبٍ. قال الأزهري: هذا خطأ الإخوة و الإخوان، يكونون إخوة لأب، وإخوة للصفاء. ، وقال أبو حاتم: قال أهل البصرة أجمعون: (الإخوة) : في النسب، و(الإخوان) : في الصداقة، تقول: قال رجل من إخواني وأصدقائي، فإذا كان أخاه في النسب ، قالوا: إخوتي، قال أبو حاتم: وهذا خطأ وتخليط، يقال للأصدقاء وغير الأصدقاء: إخوة وإخوان.قال الله جل وعز: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2] ، ولم يعنِ النسب ، وقال: ﴿ أَو بيُوت إِخْوَانِكُمْ﴾[3] ،وهذا في النسب، وقال: ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾[4]، قَالَ اللَّيْثُ:الإِخَاءُ:المُؤَاخَاةُ والتَّآخِي والأُخُوَّةُ: قَرَابَة الأخ، والتَّآخِي: اتِّخاذُ الإِخْوَانِ ، وَيُقَال: بَينهمَا إِخَاءٌ وأُخُوَّةٌ: ونحوُ ذَلِك[5]، إذاً تطلق كلمة الإخوة عن الإخوة في الولادةِ [6]، وهي علاقة أصلية قوية وما من شك أن العلاقة بين الأنبياء كذلك ؛ ولهذا فكلمة (إخوة) تناسب المقام ،فالنبي صلى الله عليه وسلم يشبّه الأنبياء بإخوة يشتركون في أصل واحد(الأب)هو التوحيد، وتختلف أمهاتهم (الشرائع)، هذا التشبيه يحتاج إلى لفظ يدل على دلالة نسبية أصلية، لا دلالة عددية، فكانت (إخوة) هي الأليق في سياقها ،وحتى لا يستدعي المتلقي هذا المعنى اللغوي أتمَّ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب الخبري فأخوة الأنبياء عليهم السلام من علّات لا من ولادة ،وفي قوله من علّات إشارة واضحة إلى أن المعنى اللغوي معروف عند العرب ، قال أهل اللغة: أولاد العلّات بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الإخوة لأب من أمهات شتى؛ لأن الذي تزوجها على أولى قد كانت قبلها ثم عل من هذه؛ والعلل الشرب الثاني، يقال علل بعد نهل، وعله يعله ويعله إذا سقاه السقية الثانية[7] وقال غيره سموا بذلك؛ لأنهم أولاد ضرائر والعلات الضرائر. وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان؛ لأنهم من عين واحدة [8] ، فهل استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الجمع للدلالة على الكثرة؟ إذ السياق مبتدئٌ بذكر الأنبياء وهم ليسوا بقلة فما من أمة إلا وخلا فيها نبي، أم أراد به حقيقة القلة ؟ إن النظرة المتأملة في السياق تلمح الجنوح المجازي بوضوح ابتداء من الدلالة القائمة في (إخوة) وما تحمله من إيحاءات ، فالعلاقة هنا علاقة نسب لا علاقة عدد، هنا تظهر براعة النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الألفاظ وتركيب المفردات ، فأصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع قال الله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[9]، فوقع فيها الاختلاف وأما قوله صلى الله عليه وسلم ودينهم واحد فالمراد به أصول التوحيد وأصل طاعة الله تعالى وإن اختلفت صفتها وأصول التوحيد والطاعة جميعاً[10]،«الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، ...» وتأسيساً على ما ذهب إليه النحاة من أن جمع القلة من الثلاثة إلى العشرة ، وجمع الكثرة من الثلاثة ولا منتهى له ، وأنهما مشتركان في المبدأ مختلفان في المنتهى[11]. وأيضاً باستحضار القرينة التاريخية والإيمانية فإن عدد الأنبياء ينصرف إلى أكثر من عشرة ، وهنا تأتي دلالة السياق لتوجه جمع (إخوة) إلى الكثرة وإن جاء على وزن فعلة الدال على القلة ، يقول ابن يعيش: " الجموع قد

---

[1] صحيح مسلم : 4/ 1837

[2] سورة الحُجرَات: من الآية(10)

[3] سورة النُّور: من الآية(61)

[4] سورة الأحزَاب:من الآية (5)

[5] الأزهري ، تهذيب اللغة،: 7 / 254

[6] الجوهري ، الصحاح: متدة (أخا)

[7] الجوهري ، الصحاح : مادة علل

[8] ينظر العراقي طرح التثريب في شرح التقريب: 243/6

[9] سورة المائدة: من الآية(48)

[10] النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،: 120/18

[11] الصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشمونى: 3/ 28

يقع بعضها موقع بعض ، ويستغنى ببعضها عن بعض ألا ترى أنهم قالوا رسن وأرسان، وقلم وأقلام، واستغنوا بهذا الجمع عن جمع الكثرة ، وقالوا رجل ورجال ، وسبع وسباع ولم يأتوا لهما ببناء قلة ، وأقيس ذلك ان يستغنى بجمع الكثرة عن القلة : لأن القليل داخل في الكثير"[1] ، وجمع القلة والكثرة يستعمل كل منهما في موضع الآخر مجازاً[2].

صيغة (فِعْلَان) :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ» قَالَ مُسْلِمٌ: هُمْ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ: شَرِيكٌ وَعُبَيْدُ اللهِ وَعُمَيْرٌ وَعَبْدُ الْكَبِيرِ بَنُو عَبْدِ الْمَجِيدِ

وأيضاً ما ورد أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: اقْتَتَلَتِ امْرَأَتَانِ مِنْ هُذَيْلٍ، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَقَتَلَتْهَا وَمَا فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ دِيَةَ جَنِينِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ، وَقَضَى بِدِيَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَاقِلَتِهَا، وَوَرَّثَهَا وَلَدَهَا وَمَنْ مَعَهُمْ، فَقَالَ حَمَلُ بْنُ النَّابِغَةِ الْهُذَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا **هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ**»، مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ[3]،

الخطاب النبوي يُعيد توجيه الصيغة الصرفية من وظيفتها العددية إلى وظيفتها القيمية؛ فتُستعمل صيغة القِلّة لتكثير الرحمة، وصيغة الكثرة لتكثيف التحذير، والجمع المراد هنا (إِخْوَانِ)على صيغة (فِعْلَان) من صيغ جمع الكثرة تدل على جماعة واسعة لا تُحَدّ بعدد قليل ، وهنا تتجلى فيه الصيغة الصرفية بوصفها أداةً توجيهيةً في بناء المعنى، فاختيار هذه الصيغة بدلاً من صيغ أخرى يحمل توجيهاً دلالياً واضحاً ، تظهر فيه توسيع دائرة الانتماء،(إِخْوَانِ) اسم مجرور بـ(من) في تركيب إدراجي، التركيز فيه على الانتماء إلى فئة لا على الفعل الفردي.؛ فالمتحدَّث عنه لا يُشبَّه بقلة من الكهان، بل يُدرَج في زمرة واسعة منهم. و(إخوان) مضاف إلى الكهّان وهذه الإضافة إنما لذم سجعه لوجهين أحدهما أنه عارض به حكم الشرع ورام إبطاله والثاني أنه تكلفه في مخاطبته وهذان الوجهان من السجع مذمومان[4]،والكثرة المرادة هنا ليست عددية فحسب، بل نوعية تظهر قدراً كبيراً من الذم ، وحصر(هذا) مع(من) والجمع يفيد الإدراج في فئة لا مجرد المشابهة. فالعلاقة بينهم ليست مجرد مشابهة ، بل هو محسوبٌ عليهم، فصيغة (فعلان) الدالة على الكثرة تُسقِط احتمال الفردية أو الندرة، وتشيع إحساساً بالانتشار والاستفاضة، هنا (إخوان) ليست رابطة نسب، بل رابطة سلوك ،والأخوّة استعيرت لمعنى المشاركة في الصفات والممارسات، لا في الدم والنسب؛ حيث تحولت الأخوّة إلى انتماء في المفاهيم والقيم وإن كانت سلبية ، فالنبي صلى الله عليه وسلم باختيار هذه الصيغة(إخوان) الدالة الجمع الكثري يوجه السياق إلى التشنيع والتهويل ليصير (هذا) جزء من منظومة واسعة، لا حالة شاذة. والكثرة في (إخوان) من خلال التركيب الحصري (إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ) يصنع جملة قصيرة لكنها ثقيلة الحكم وقوية الأثر، والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام التبليغ والتحذير من السلبيات يستدعي هذه الصيغة (فعلان) للتحذير وتقويم السلوك ، وردع المتلقي عن هذا المسلك بإلحاقه بفئة اجتماعية مذمومة ومكروهة دينيًا. فيحول الفعل الفردي إلى انتماء جماعي سلبي يحمّل صاحبه تبعات معنوية أشد مما يدفع هذا المتلقي إلى النفور نفسياً من السلوك الموصوف، وبهذا الوصف يجعل النبي صلى الله عليه وسلم من الصيغة اللغوية أداة ردع اجتماعي وأخلاقي قوية الأثر، الخطاب النبوي يُعيد توجيه الصيغة الصرفية من وظيفتها العددية إلى وظيفتها القيمية؛ فتُستعمل صيغة الكثرة لتكثيف التحذير.

تناوب الدلالة في وزن (أفعال) :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[5]

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم صيغة الجمع (أصحاب) على وزن (أفعال) للدلالة على الجمع ، ومفردها (صاحب)، من الجذر (صحب) والصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته الصُّحبة والملازمة، الصاحب ليس عابراً، بل ملازمٌ لموصوفه[6]. وبهذا الوصف لم يعد ممن دخل النار، بل من أصحابها، وصيغة (أفعال) دالة على جمع القلة[7] ، لكن الاستعمال النبوي في هذا التركيب وجهها إلى الكثرة للدلالة على الاستغراق والكثرة المعنوية، بحكم السياق العقدي والترهيبي[8]. ففي قوله (إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) الجزاء يتحول إلى هوية مستقرة ليس داخل النار فقط،

---

[1] ابن يعيش ، شرح المفصل : 5/ 11

[2] السابق : 4/ 114

[3] صحيح مسلم : 3/ 1309

[4] ينظر، شرح النووي على مسلم : 11/ 178

[5] صحيح مسلم : 1/ 134

[6] ينظر ابن فارس ، مقاييس اللغة : مادة (صحب)

[7] ينظر سيبويه ، الكتاب : 3/ 490

[8] العراقي ،طرح التثريب في شرح التقريب: 7/ 160

بل من أصحابها وبهذا يكون من المدرجين في زمرة معيّنة مصنّفة ،والتركيب (كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) مع قصره لكنه ينشيء انتماءً تصنيفياً دائماً، فإن الصاحب هنا بمعنى الملازم[1] ، فصيغة (أصحاب) لا يراد بها مجرد العدد؛ بل استغراق من توفرت فيه الشروط المذكورة دون اعتبار للعدد مهما كثر؛ وهكذا تتسع الدلالة للعموم ومن خلال التركيب الإضافي(أصحاب النار) تنشأ علاقة ملازمة بين الإنسان ومصيره ،فالدلالة لم تعد قاصرة عند توصيف الفعل (لم يؤمن) بل انتقلت إلى توصيف الهوية (صاحب النار). فالنبي صلى الله عليه وسلم ينقل دلالة (أصحاب) من العرف الاجتماعي إلى وصف حال أخروي، يُقرّب الصورة إلى ذهن المتلقي حتى كأنه يشعر بأن للنار جماعة ورفقة وأصحاب ، فينفر كل عاقل من الحشر معهم ،إن اختيار الجمع (أصحاب) يحوّل المسألة الإيمانية برمتها من خيار فردي إلى انتماء مصيري، و يوظفه النبي صلى الله عليه وسلم في سياق بلاغ عام عقدي، يحدّد معيار النجاة والهلاك ، في تحذيرشامل دون تخصيص زمني أو مكاني.وإنه صلى الله عليه وسلم لا يجعل المتلقي في حالة تستدعي الخوف، بل يحفزه على الإيمان بوصفه مخرجًا من هذا التصنيف الأخروي ، إن توظيف الجمع (أصحاب) في تركيبها السياقي نقل دلالتها من القلة إلى الاستغراق والكثرة المعنوية ،إذا لا يمكن أن يتصور أن أصحاب النار قلة ح بل وأضفى عليها الثبوت والانتماء، لتبقى إنذاراً عاماً تُحوّل المصير إلى هوية، وهكذا توسع النبي صلى الله عليه وسلم في استعمال صيغة الجمع فكانت براعته في ذلك فوق ما قال به علماء النحو من بعد، وهكذا تتنوع دلالة الوزن على القلّة أو الكثرة وفق توجيه السياق وما يضفي عليها من إيحاءات .

ـ **وأيضاً ما ورد** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: « دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا، يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَلِحْيَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهِ وَرَسُولَهُ» قَالَ أَنَسٌ: " أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الَّذِينَ قَتَلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قُرْآنًا قَرَأْنَاهُ حَتَّى نُسِخَ بَعْدُ: أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ "[2] كلمة (أصحاب) الواردة في الحديث ، جمع تكسير على وزن (أفعال) وهو من جموع القلة في التقعيد النحوي[3] مفرده صاحب، وهو اسم فاعل من الفعل صَحِبَ ، لكن الاستعمال العربي لا يلتزم هذا دائماً، بل قد يُراد به الكثرة أيضاً، ويُحمل على ما يقتضيه السياق، هنا دلالة جماعة كثيرة باعتبار الواقع والسياق، لا يُراد القِلّة المحضة (ثلاثة إلى عشرة)، بل هو جمعٌ يدل على جماعة معتبرة العدد، لأن الذين قُتلوا في بئر معونة كانوا نحو سبعين. فالوزن الصرفي لا يحكم وحده على الدلالة العددية، بل السياق هو المرجّح، أُضيف (أصحاب) إلى (بئر)، و(معونة) مضاف إليه ثانٍ ، والإضافة هنا إضافة اختصاص وملابسة، وإنما نُسبوا إليها لأنها مكان الواقعة، وصارت البئر علامةً تاريخية عليهم ، واستُعمل في التركيب لفظ (أصحاب) دون (قوم) أو (رجال) ، فلفظ صاحب يدل على الملازمة والمصاحبة والمشاركة في حالٍ واحدة، فاختيار أصحاب فيه دلالة على أنهم جماعة اجتمعوا على مهمة واحدة ، وارتبطوا بموقف واحد ، واشتركوا في المصير، فالدلالة ليست عددية فقط ،بل دلالة تضامنية جماعية، وهذا أقوى من قولنا: قُتل سبعون رجلًا؛ لأن (أصحاب) توحي بالصحبة، والرابطة، ووحدة الغاية ، وتثبيت الحدث في الذاكرة الجمعية؛ فالتعبير(أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ) صار عَلَمًا تاريخيًّا ،كما يقال أصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل،وهكذا استعملت صيغة (أفعال) والأصل أنها للقلة، لكن السياق وجه دلالتها إلى الكثرة، ولم يُذكر العدد في التسمية المختصرة، بل قيل: (أصحاب بئر معونة)،وهذا الحذف يُفيد التركيز على الحدث لا على الرقم ، وإبراز الجماعة كوحدة معنوية لا كمجرد عدد ،وأيضاً لم يذكر الفاعل؛ فحذفه إبراز للشهداء وتهميش للفاعل(أصحاب) في هذا السياق ليس مجرد جمع، بل هو وعاء دلالي يصنع وحدة جماعية وهوية تاريخية وقيمة تضامنية وإيحاءً تكريمياً ،والسياق حين اختار رتبة المفعولية لـ(أصحاب) كان اختياراً بعناية في التركيب النحوي، ومجيئها في موقع المفعول به أفضى عليها دلالة القتل المتتابع ، وإشارة إلى رابطة الصحبة التي تجمع المقتولين، مما يجعل المتلقي يرى أن الاعتداء كأنما وقع على كيان اجتماعي ، وهكذا تحول وزن (أفعال) للدلالة على الكثرة .

تناوب الدلالة في (فِعَال) على القلة :

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أُخْتَ الرُّبَيِّعِ، أُمَّ حَارِثَةَ، جَرَحَتْ إِنْسَانًا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقِصَاصَ، الْقِصَاصَ»، فَقَالَتْ أُمُّ الرَّبِيعِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُقْتَصُّ مِنْ فُلَانَةَ؟ وَاللهِ لَا يُقْتَصُّ مِنْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ يَا أُمَّ الرَّبِيعِ، الْقِصَاصُ كِتَابُ اللهِ»، قَالَتْ: لَا، وَاللهِ لَا يُقْتَصُّ مِنْهَا أَبَدًا، قَالَ: فَمَا زَالَتْ حَتَّى قَبِلُوا الدِّيَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»[4] ،وتظهر هندسة التركيب في غاية الدقة حيث بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالعموم(عباد الله) ، ذهب سيبويه إلى أن لفظ العباد

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 447

[2] صحيح مسلم : 1/ 468

[3] ينظرسيبويه، الكتاب : 3/ 490

[4] صحيح مسلم : 3/ 1302

في الأصل صفة ، تقول هذا رجل عبد[1] ولكن النحاة استعملوه معاملة الأسماء ، ثم قيَّده بالتبعيض (من)، ثم أتى بجملة الشرط (لو أقسم على الله)، ثم أكد الجواب بلام التوكيد (لأبرّه) ودلالة الشرط بـ (لو) لتعظيم شأن الجزاء ولبيان تحقق الوعد عند وقوع الشرط، فاستعمال الشرط يُشعر بعلو المنزلة ولذا استعمله النبي صلى الله عليه وسلم بدل الجملة المباشرة، قلم يقل (إن من عباد الله من يقسم على الله فيبره)؛ فالقسم نفسه أمر عظيم لا يُقدم عليه إلا ذو يقين ،فالنبي صلى الله عليه وسلم يعيد ترتيب معايير التفاضل؛ فلا يكون باعتبار المظهر بل بمقام العبودية الخالصة وفي هذا إعادة بناء معايير الكرامة، وفي التركيب نجد تقديم الخبر (من عباد الله) قُدِّم الجار والمجرور لإبراز الانتماء إلى مقام العبودية، و الاهتمام بالخبر للتهيئة الذهنية للسماع وتشويق السامع لمعرفة هذا البعض، عِباد جمع تكسير على وزن فِعال، مفرده عبد ، وهو ليس من صيغ جمع القلة الأربع المشهورة (أفْعُل، أفعِلَة، أفعال، فِعلة). ووزن فِعال من أوزان الجموع المشتهرة، من حيث الصيغة الصرفية البحتة، لا يُحكم له بالقلة أو الكثرة استقلالًا، بل يُستأنس بالسياق لتوجيه دلالته، وهنا دخول (مِن) التبعيضية تفيد أن هذا الصنف بعضٌ من مجموع عباد الله ، فدخول (من) يُخرج منه قلة مخصوصة ، ومجموع عباد الله كثير جدًا ، لكن الذين يبلغون هذه المنزلة (لو أقسم على الله لأبره) قليل، ومن دقة التعبير النبوي أن الدلالة هنا مركبة (من عباد) ، كثرة في أصل الجنس، قلة في أفراد الوصف، و(عباد) في هذا الحديث ليس جمع قلة، بل هو جمعٌ دالٌّ على عموم الجنس، والسياق هو الذي قيَّد الدلالة إلى قلة مخصوصة من هذا العموم، (عباد) يُستعمل غالبًا في سياق التشريف ويضاف إلى الله في مقام المدح (عباد الرحمن) (عباد الله)، فهنا العبودية الاختيارية والانقياد المحبوب ؛ ولأن المقام مقام رفعة وتشريف اختار النبي صلى الله عليه وسلم لفظ (عباد) ولم يأتِ بـ(عبيد) فعبيد يُستعمل في مقام الامتهان أو بيان الضعف وخص العبيد بجمع عبد بمعنى المملوك[2].والذي لو أقسم على الله لأبرّه ليس مجرد مملوك، بل عبدٌ مقرَّب، فاختيار(عباد) مقصود صرفيًّا لإفادة معنى القرب والاصطفاء ؛ والاختيار اللفظي هنا جزء من صناعة المعنى ،ودلالة القلة في (عباد) مستفادة من السياق لا من الصيغة.

تناوب الدلالة في (فَعَلَة) على القلة: (عبد ، عباد ، عبدة)

صيغة (فَعَلَة) بضم ففتح. ويطَّرد في وصفِ عاقلٍ على وزن فاعل معتل اللام، كقاضٍ وقضاة، ورامٍ ورُماة، وغازٍ وغُزَاة ،وكامل ، وكَمَلَة [3]،وقد دل هذا الوزن على جمع القلة في صحيح مسلم ، ومن ذلك ما ورد أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَذَاكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَالْيَهُودِ، فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ وَقَفَ، فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمِ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَيُّهَا الْمَرْءُ، لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: اغْشَنَا فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ: " أَيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ - يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ: كَذَا وَكَذَا "، قَالَ: اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ، وَاصْفَحْ، فَوَاللهِ، لَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ الَّذِي أَعْطَاكَ، وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَهُ، شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4]،

الكلمة المحورية في النص السابق (عَبَدَة) وزنها الصرفي: (فَعَلَة)، وهي: جمع تكسير مفرده :عابد اسم فاعل من عبد يعبد ، وهذا الوزن من أوزان جمع التكسير القياسية في العربية، يُستعمل غالبًا فيما يغلب فيه الانتشار والاشتهار ويراد به الطائفة أو الفئة أو الصنف ؛ وذلك نحو: فسقةٌ، وبررةٌ، وجهلةٌ، وظلمةٌ، وفجرةٌ، وكذبةٌ.[5]، كلها تدل دلالةً تصنيفية جماعية لا عددية دقيقة ، ولذا لم يُقصد بـ(عَبَدَة) مجرد الجمع العددي بل وصفٌ هويّة ، لا يُراد بها العدد بل يراد بيان حالةٍ ذهنية وسلوكية فالكثرة هنا كثرة معنوية لا عددية ،وقد وردت في سياق التركيز على بناء المفاهيم لا عدّ الأشخاص... وهنا كانت (عبدة) وحدها القادرة على استدعاء الدلالة وبيان المعنى دون غيرها من بدائلها فلو قيل مثلًا

---

[1] السيرافي ، شرح كتاب سيبويه للسيرافي ، تحقيق أحمد حسين مهدلي ، علي السيد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1971م : 9/3

[2] التحرير والتنوير : 7/ 165

[3] الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف : 87،و جموع التصحيح والتكثير:47

[4] صحيح مسلم : 3/ 1422

[5] سيبويه ، الكتاب : 3/ 631، و ابن الصائغ، اللمحة في شرح الملحة:1/ 214

، (عبيد) فالدلالة أقرب للملكية أو الرق، و(عباد) فالدلالة تعبّدية قد تكون محمودة ، وأما عبدة فدلالة انغماس واستسلام وذوبان في المعبود ،فـ(عبدة) تشعر بالملازمة والامتهان والخضوع الكلي... وجاءت (عبدة) عطف بيان يوضّح المراد بالمشركين لأنه يفسّرهم ويحدّد نوع شركهم. فليس كل مشرك في الاصطلاح العام يعبد صنماً[1] ، فجاء التقييد ؛عبدة الأوثان ، وهذا التقييد له دلالة مهمة فلو اقتصر على المشركين لشمل عبدة الأصنام ، والمجوس ، ومن يشرك بالله بأوجه أخرى ، فقوله : (عَبَدَةِ الأوثان) يخصص نوعاً معيناً من الشرك ويصنع تصنيفاً عقدياً واضحاً ، خاطب به الْمُشْرِكِينَ عبدة الأوثان الذين كان توحيدهم لله تعالى مصحوبا بسائر ما يتوقف عليه الإسلام ومستلزما له والكافر إذا كان لا يقر بالوحدانية كالوثني[2] ويجعل المجلس يضم ثلاث فئات محددة ، تجتمع فيه ديانات ثلاث؛ أخلاطٌ من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فجاءت الألفاظ مرتّبة تصنيفًا ، والتقييد بـ(عبدة الأوثان):يمنع التداخل بين المشركين واليهود ، ويمنع احتمال أن يكون المراد بالشرك معنى أوسع ، فالحديث لا يريد أن يقول : في المجلس عددٌ كبير من عبدة الأوثان : بل يريد أن يقول كان فيه ممثلون عن هذه الفئة ، فالكثرة هنا صيغة صرفية، لكن الدلالة السياقية غير عددية ، وجاء اختيار صيغة الجمع دقيقاً (عَبَدَة) لا (عابدين)، فلو قيل المشركين العابدين للأوثان لصار وصفاً فعلياً حادثاً أما (عَبَدَة): فهي صيغة أقوى في الدلالة على الرسوخ تدل على صفة ثابتة متأصلة تحمل معنى الانتماء لا مجرد الفعل .. و(عَبَدَة الأوثان) فيها إيحاء: بالانغماس والهوية والتصنيف العقدي.

جمع (ولد)على (أولاد، وولدان)

جمع (ولد)على (أولاد) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[3] ورد اللفظ (أولاد) جمع وَلَد، وهو على وزن (أَفْعال) معدودٌ في جموع القلة عند جمهور الصرفيين (مع:أفعُل، أفعِلة، فِعلة) وجموع القلة قد تستعمل للكثرة إذا دل السياق عليها، والاستعمال العربي لا يقيّده بعدد مخصوص، ورد لفظ (أولاد) في التركيب الإضافي(أولاد المشركين)، والإضافة هنا إضافة نسب وانتماء ديني، وهنا تقييد الحكم بطائفة مخصوصة فالحديث ليس عن مطلق الأطفال، بل عن أولاد المشركين خاصة وهذا التقييد النحوي هو مفتاح فهم الدلالة ،فاختيار اللفظ (أولاد) يوحي بأن السؤال ليس عن أطفال بأعيانهم بل عن فئة منسوبة، فقد اختير لفظ (أولاد) دون (ولدان) أو (صبيان) أو (غلمان)؛ لأن المقام مقام حكم عقدي أخروي، ولفظ (أولاد) أقرب إلى العلاقة النَّسَبية والحكم التبعي والامتداد العائلي فـ(أولاد) تدل على مطلق من وُلد ، لا تقييد فيها بمرحلة عمرية دقيقة فهي تحتمل الرضيع والمميز فهي أوسع دلالة من (صبيان) أو (غلمان) وهذا الاتساع يخدم المقام؛ لأن السؤال يحتمل من مات صغيراً ، ومن بلغ حدًّا من التمييز فكان الجواب عاماً، ولو قيل في هذا الحديث (وِلْدان المشركين) لأوهم: صورة صغار يلعبون ، وهذا لا يناسب مقام الجواب التفويضي المختصر، أما (أولاد) ففيه ضبط ، وتجريد ، وعمومية وحياد ، وهو أنسب للأسلوب النبوي في مواطن التفويض

جمع (ولد)على (وِلْدَان):

عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: " إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ " ففي قوله : « وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ »

استعمل (وِلْدَان) جمع **وَلَد**. وهو على وزن فِعْلان، وهو من جموع الكثرة عند جمهور الصرفيين ، والجمع (ولدان) يدل على الصغار غالبًا ويشعر بالضعف ويستدعي في الذهن صورة الحركة والضجيج والانتشار، فالجمع (ولدان) يُحوّل الفرد (ولد) إلى تمثيل جماعي للأطفال، والصيغة تعطي معنى الحركة والنشاط الجماعي، فهي ليست مجرد تعداد، بل وصف تصرف جماعي ، تظهر دقة الهندسة الدلالية من خلال نسج التركيب ؛ شرط ممتنع (لولا دعوة أخينا سليمان) ، وجواب شرط متخيل (لأصبح موثقًا)، وصورة حركية (يلعب به)، وفاعل مخصوص (ولدان) واللعب بالموثَق أقصى درجات الذل ، وصدور اللعب من الأطفال يعني سقوط المنزلة تماماً ، وتبدأ براعة النبي صلى الله عليه وسلم من دقة اختيار جمع الكثرة (ولدان) لتصوير المشهد في ساحة عامة ، والإيحاء بتكاثر اللاعبين ، وتعميم الهوان لا تخصيصه ولتصوير هيئة الصِّغر والعبث ، وأدرج (ولدان) في سياق تحقيرٍ بالغ فأدى وظيفة بلاغية وتداولية لا تُؤدَّى بـ(أولاد) فاللفظ هنا مُنتقى بعناية بالغة ، ورد الجمع في التركيب الإضافي(يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) لم يقل: (يلعب به الولدان)، بل قال: وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، إضافة تخصيص تقيد الولدان بمكان وتشير إلى جماعة معلومة حاضرة في

[1] ينظرابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري:8/ 232

[2] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 1/ 221

[3] صحيح مسلم : 4/ 2049

الذهن الاجتماعي، النبي صلى الله عليه وسلم يُبَيّن أنه لو لا دعوة أخيه سليمان بن داود لربطه، ثم لم يكتف بالربط أو الحبس ؛ بل لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة، وتأخير الفاعل هنا بعد الجار والمجرور يُبرز الضمير (به)؛ أي المهان المربوط، قبل ذكر من يلهو به، وهذا ترتيب له أثر دلالي واضح فالحديث يتخيّل صورة ــ لو لم تُستجب دعوة سليمان عليه السلام [1] ــ : مخلوق موثَق (شيطان) يلهو به الصغار لا الكبار، فـ(ولدان) هنا ليست مجرد جمع، بل وحدة دلالية تصويرية، الدلالة تتكوّن من صغر السن، وخفة العقل ، والعبث واللعب ، وانعدام الهيبة ، فالهوان هنا بلغ غايته ، والمبالغة بالتصغير المعنوي، فلم يقل يلعب به الناس ولا العبيد ولا السفهاء ، بل قال (ولدان أهل المدينة) لفظ (ولدان) في ذاته ليس ذمًّا، لكن إدخاله في هذا السياق يُكسبه دلالة التحقير المقامي ، فالتحقير هنا من السياق ، واختيار جمع الكثرة فيه دلالة على انتشار الخبر وشيوع المشهد حتى تحول إلى ظاهرة عامة، واختيار الفعل (يلعب) يوحي بالحركة والتداول الجماعي.، بل بناء صورة مشهدية حية تتحول فيها القوة الخفية إلى مادة لعب حسية.

التناوب الدلالي في (أفعل ، وفعول ، عين ؛ أعين وعيون)

(عين) العين والياء والنون أصل واحد صحيح يدل على عضو به يبصر وينظر، ثم يشتق منه، قال الخليل: العين الناظرة لكل ذي بصر. والعين تجمع على أعين وعيون وأعيان [2]، و(أعين)و(عيون) فكلاهما جمع (عين)،والأعين جمع قلة على وزن (أفعل) ، والعيون جمع كثرة على وزن (فعول) ، أفعل جمع لكل اسم ثلاثي على فعل صحيح العين نحو كلب وأكلب وخرج بالاسم الصفة فلا يجوز نحو ضخم وأضخم وجاء عبد وأعبد لاستعمال هذه الصفة استعمال الأسماء وخرج بصحيح العين المعتل العين نحو ثوب وعين وشذ عين وأعين وثوب وأثوب[3]. ومجيء (عين) على (أعين) يرجع إلى تحقيق أمن اللبس فقد يؤتى بأوزان القلة والكثرة للمغايرة بين معنيين وضعاً أو تخصيصاً، لا للدلالة على القلة أو الكثرة كالعين والعيون ، فالعين الباصرة والعيون عيون الماء[4]

ــ ورد في صحيح مسلم جمع (عين) على (أعين) فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا»[5]، في قوله : (فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ) الجمع (أَعْيُن) مع المضاف (الأنصار) يخلق صورة جماعية متكاملة للانتباه والملاحظة ، والإضافة تجعل الصفة أشدّ تحديدًا وتشخيصًا مشيرًا إلى حالة انفعال، أو مراقبة، واستخدام (أعين) يخلق صورًا حسية تظهر هندسة التصوير المكاني والاجتماعي، مع الإيحاء بالعمومية الجماعية ، ودلالة الإيجاز تبدو ظاهرة بجلاء فالكلمة الواحدة (أعين) تنقل تفاعل المجموعة كله؛ فالجمع هنا يخدم التصوير البصري المكثف، وفيه دعوة المتلقي ليرى المشهد بنفسه لما فيه من تعزيز الحضور الذهني للشخصيات في المخيلة ، وهكذا صارت (أعين) أداة نقل موقف جماعي وانفعال المجموعة وانتقلت لدلالتها من القلة إلى الكثرة .

ــ وأيضاً وردت لفظة (عيون) في الاستعمال النبوي للدلالة على العين الباصرة ومن ذلك ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا» قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا، قَالَ: «عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟» قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ»[6] ففي هذا الحديث وردت (عيون) على وزن (فعول) للدلالة على الكثرة وتبدو الهندسة الدلالية ظاهرة في براعة التوظيف النبوي لهذه الصيغة حيث إن قوله (فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا) العيون هنا على الحقيقة الحسية ؛الجارحة، وهي جمع يدل على الكثرة في أصل وضعه. فالعين مرآة الباطن، ولذلك عُلّق الإدراك عليها، جاءت (عيون) في تركيب نحوي فيه تقديم يفيد الاهتمام واقترنت بنكرة مبهمة للتلطف في البيان، ووردت هنا من باب تقديم الخبر على الاسم، والأصل فإنَّ شيئًا في عيون الأنصار، فالتقديم هنا للاهتمام بالمحلّ (العيون) لا بالمخبر عنه (الشيء)، فكأن المقصود توجيه النظر إلى موضع الملاحظة قبل بيان ماهية الأمر، و كلمة (شيئًا) نكرة مبهمة وهذا الإبهام مقصود يعني بعض ما لا يستحب من زرقة أو صغر أو نحو ذلك[7]، واستعمال النكرة (شيئًا) يدل على تلطفٍ في العبارة، وتجنّب التصريح بما قد يُشعر بالتنقيص ، فلم يقل : فإن نساء الأنصار فيهن كذا فالعيون هنا موضع الملاحظة، لا الحكم على الذات، فقوله (شيئاً) إبهام يفتح باب الاحتياط لا يثبت حكماً عاماً ولا يشيع صفة محددة وهذا من فقه الخطاب النبوي؛ إذ المقصود حماية الحياة الزوجية من مفاجأةٍ قد تُورث نفوراً ، والنبي صلى الله عليه

---

[1] أبو الفداء، روح البيان: 3/ 299

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة: 4/ 199

[3] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، : 4/ 116

[4] ينظر السامرائي، معاني الأبنية في العربية : 122–123

[5] صحيح مسلم : 2/ 1040

[6] صحيح مسلم : 2/ 1040

[7] الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين: 3/ 576

وسلم لم يرد تعيين عيبٍ مخصوص، وإنما أراد التنبيه إلى أمرٍ معروف في بعض نساء الأنصار فعلّق الأمر على العيون ، وهذا مناسب للسياق؛ إذ الغرض إرشاد الرجل إلى النظر والفحص ، فالنظر قبل الزواج يحقق الطمأنينة ، واختلاف الطبائع والأشكال أمر طبيعي ينبغي معرفته[1] ، فقوله (فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا) دون أن يقال: في نفوسهم أو في قلوبهم كناية على ما كان في نفوسهم فلم يُصرَّح به قولًا، لكن ظهرت أماراته في أعينهم.، أو لعله من باب المجاز المرسل في ذكر الجزء وإرادة الكل ، فالعيون موضع ظهور الانفعال الجماعي و(عيون الأنصار) فيه إشعار بالانتشار والعموم، وهنا تظهر الدلالة على الكثرة

جمع ملك على : (ملوك ، أملاك ، فعول ، أفعال)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا،[2]... ففي قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ) الجمع (ملوك الأرض) تحملان تعميمًا سياسياً اجتماعياً قويًا مع النعوت (الحفاة، العراة، الصُم، البكم) يخلق صورة صادمة، فالملوك الذين يُفترض أن يمتلكوا الهيبة والقدرة، يظهرون في صورة ضعيفة وهزيلة سياق تصويري، إنذاري ، تحذيري،(مُلُوك) على وزن مُفْعُول من أوزان الكثرة ، مُلُوك تُعدّ جمع تكسير للدلالة على العدد الحقيقي، لكنها في السياق تعميمية استغرابية؛ كل من يحمل صفة الملك في الأرض وقتها يُحسب ضمن هذا التحذير ، ولفظ ملوك يبرز الهيئة الجماعية للسلطة، أي أن وصف (ملوك الأرض) يشمل الفئة الحاكمة بأكملها، وليس ملكًا واحدًا ، بل جماعة مستهلكة للقوة بلا قيمة حقيقية، والتراكم النعوتي متتابع محدد بالهيئة الأرضية والسلطوية (الحفاة، العراة، الصُم، البكم) يخلق مشهدًا بصريًا تصويريًا شديد الدقة يصف الملوك وفيه تصوير سوء الهيئة والافتقار للقيم مع الجمع بين عدة صفات جسدية وحسية ، فالمراد بهم الجهلة السفلة الرعاع[3] ، والجمع (ملوك) يعمّم الظاهرة على كل الملوك، لا يقتصر على فرد محدد، والمقصد توصيل حقيقة الفساد الاجتماعي والسياسي بطريقة تصويرية قوية ، وتصوير الجماعة الحاكمة في صورة مفارقة تهدف إلى الإنذار والاستعداد الذهني وإبراز المفارقة بين المنصب والهيئة الحقيقية ،فالملوك هنا لا تكون لهم همة في إصلاح دين الناس ولا تعليمهم، بل همتهم في جمع المال وإكثاره ولا يبالون بما أفسدوه من دين الناس ولا بمن ضاع من أهل حاجاتهم[4].

وورد جمع ملك على (أملاك) فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ» زَادَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ الْأَشْعَثِيُّ: قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ»، وقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، سَأَلْتُ أَبَا عَمْرٍو عَنْ أَخْنَعَ؟ فَقَالَ: «أَوْضَعَ»[5]

الملك والجمع الملوك والأملاك[6]، المقصود: الرجل الذي نال منزلة رفيعة أو امتيازًا نوعيًا، (ملك الأملاك) صفة نوعية تعظيمية، وليس إشارة إلى عدة ملوك.ورد لفظ (الأملاك) في (مَلِكَ الْأَمْلَاكِ) تركيب إضافة، حيث الملك مفرد، والأملاك جمع تكسير للتعظيم ، والجمع هنا في المضاف إليه يُعطي صفة كلية للملك، أي الملك الأعلى على جميع الأملاك.صيغة تفخيم وتعظيم الجمع (مضاف إلى جمع: الأملاك). فالأملاك جمع ضمن تركيب ذي دلالة نوعية(مَلِكَ الْأَمْلَاكِ) يعني الملك الأعلى، السيد المطلق. تضع الرجل في مستوى متفرد فوق الجميع وأكره الأسماء إلى الله ملك الأملاك وإنما كان ملك الأملاك أبغض إلى الله وأكره إليه أن يسمى به مخلوق؛ لأنه صفة الله، ولا تليق بمخلوق صفاته ولا أسماؤه، ولا ينبغى أن يتسمى أحد[7]

الأملاك جمع تكسير يُستعمل للتعظيم. والغرض تعظيم الشخص بوصفه أعلى منزلة في الملكية أو القدرة .

الخاتمة : وفيها يمكن التأكيد على :

ـ التنوع الصرفي لا يُعد مجرد اختلاف شكلي، بل يمثل آلية استراتيجية في بناء المعنى داخل الخطاب النبوي.

---

[1] القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 5/ 2053

[2] صحيح مسلم : 1/ 40

[3] النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 1/ 165

[4] المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،: 1/ 44

[5] صحيح مسلم : 3/ 1688

[6] ينظر : لسان العرب مادة : ملك ، والصحاح : مادة : ملك

[7] ابن بطال ، شرح صحيح البخارى لابن بطال: 9/ 353

ـ تنوع استعمال النبي صلى الله عليه وسلم للألفاظ من حيث الدلالة على القلة والكثرة ، وقد رأينا استعمال ألفاظ القلة للدلالة على الكثرة والعكس أيضاً، وهذا التنوع كان اختياراً موجهاً لإظهار القصدية في الخطاب وبيان الجانب الأخلاقي أو العقدي أو التشريعي أوالتربوي أوالتحذيري ...

ـ إن التداخل الدلالي بين القلة والكثرة يبدو واضحاً في النصوص؛ وقد رأينا أن العلماء أنفسهم غير مجمعين على تقسيم جموع التكسير على جموع قلة وجموع كثرة، وإنما فوضوا السياق والقرينة لتوجيه أي الدلالتين أحق بالصيغة في سياقها .

ـ التناوب الدلالي الحاصل بين جموع القلة والكثرة مظهر من مظاهر التوسع الدلالي للصيغ الصرفية في إثراء المعنى

التوصية : التأكيد على التوسع في استعمال صيغ القلة والكثرة وفق ما يقتضيه السياق ويستدعيه المعنى وإن خرج عن القاعدة الصرفية .

ـ إن لغة الحديث النبوي مجالاً واسعاً للبحث في القضايا الصرفية والدلالية والحديث النبوي يحتاج إلى الدراسات التطبقية لكشف الكثير من المعاني والدرر التي مازالت كامنة فيه .

ثبت المراجع:

ـ ابن بطال ، شرح صحيح البخارى لابن بطال ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)،تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ، ط2 ، 1423هـ

ـ ابن السراج ، الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ) ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت

ـ ابن الصائغ، اللمحة في شرح الملحة، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: 720هـ)،تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004م

ـ ابن جني ، اللمع في العربية ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ ، تح : فائز فارس ، دار الكتب الثقافية – الكويت ، دت ، دط

ـ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،تح : محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة - بيروت، 1379، دط

ـ ابن دريد، جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين – بيروت ، ط1،، 1987م

ـ ابن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)،الدار التونسية للنشر – تونس ،دط، 1984م

ـ ابن عقيل ،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : 769هـ، ،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، ط20، 1980

ـ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، ، دار الفكر ، دط 1399هـ - 1979م

ـ ابن منظور ، لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت،ط3 - 1414 هـ

ـ ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ) ،تح : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،دط ، دت

ـ ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بين يعيش الموصلى ، المتوفى (643هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية دت ، دط ،

ـ ابن يعيش الصنعاني ، سابق الدين محمد بن علي بن محمد ، التهذيب الوسط في النحو ، تحقيق : د/ فخر الدين صالح قباوة ، دار الجيل بيروت ، ط1 ، 1991م

ـ أبو الفداء، روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر – بيروت ، دت ، دط

ـ الأزدي ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ) تح: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة – مصر، ط 1، 1415 – 1995
ـ الأزهري ، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)تح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط1 ، 2001م
ـ الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: 905هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان ، الطبعة: الأولى 1421هـ- 2000م
ـ الأصفهانى، (المفردات في غريب القرآن الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تح : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - 1412 هـ
ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) تح: محمود محمد شاكر أبو فهر،مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3 ، 1992م

ـ الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) ، علي حسين البواب ، دار الوطن – الرياض، دت ، دط
ـ الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط 4 ، 1407 هـ - 1987 م
ـ حسن ، النحو الوافي ، عباس حسن (المتوفى: 1398هـ) ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة عشرة
ـ الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ، شرح : د/ عبد الحميد هنداوي ، ط4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2007م
ـ الحميري، ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط1، 1420 هـ - 1999 م
ـ الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ط1- 1957 م
ـ الزمخشري ، المفصل في صنعة الإعراب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تح د/ علي بو ملحم ، مكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1993
ـ السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ، د/ فاضل صالح السامرائي ، دار عمار، ط2، 2007م
ـ سيبويه ،الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)،تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3 ، 1988 م
ـ السيرافي ، شرح كتاب سيبويه للسيرافي ، تحقيق أحمد حسين مهدلي ، علي السيد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1971م
ـ الصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: 1206هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، ط 1، -1997م
ـ صحيح مسلم ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
ـ الضامن ، حاتم ، الصرف ، 1991م ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد
ـ عبد العال ،جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، عبد المنعم سيد عبد العال ، مكتبة الخانجي بالقاهرة
العراقي ،طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ)،الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي) دت ، دط

ـ العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ)، الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي) دت ، دط
ـ العسكري ، معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تح : الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ط1 ، 1412هـ
ـ الفارسي ، التكملة ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، تحقيق :كاظم بحر المرجان ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، بيروت ــ لبنان ، 1999م
ـ القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) ، دار الفكر، بيروت – لبنان ، ط1- 2002م
ـ الكعبري التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين الكعبري ، تحقيق : د/ عبد الرحمن العثيمين ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1986م
ـ الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ) ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تح: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت
ـ المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، دار الفكر ، دت ، دط
ـ المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: 1414هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند،دط، 1984 م
ـ النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط2 ، 1392